بسم الله الرحمن الرحيم

روما والشرق البعيد

طرق التجارة القديمة إلى أراضي الجزيرة العربية والهند والصين

تأليف

راؤول مكلاوغلن

ترجمة

د. فهد مطلق العتيبي

قسم التاريخ – كلية الآداب

جامعة الملك سعود

دار جامعة الملك سعود للنشر

ص ب ٦٨٩٥٣ - الرياض ١١٥٣٧ - المملكة العربية السعودية

ح دار جامعة الملك سعود للنشر، ١٤٣٥هـ (٢٠١٤م)

هذه الترجمة العربية مُصرَّح بها من قِبَل مركز الترجمة بالجامعة لكتاب:

Rome and the Distant East: Trade Routes to the Ancient Lands of Arabia, India and China
By: Raoul McLaughlin
© Continuum, 2010

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

مكلاوغلن، راؤول.

روما والشرق البعيد: طرق التجارة القديمة إلى أراضي الجزيرة العربية الهند والصين / راؤول مكلاوغلن؛ فهد مطلق العتيبي - الرياض، ١٤٣٥هـ.

٤٨٨ ص؛ ١٧سم × ٢٤ سم

ردمك: ٦ - ٢٤٩ - ٥٠٧ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١- التجارة - تاريخ ٢- الشرق الأوسط - تاريخ قديم ٣- الامبراطورية الرومانية - تاريخ أ. العتيبي، فهد مطلق (مترجم) ب. العنوان

ديوي ٣٨٢,٠٩ ١٤٣٥/٢٦٥٦

رقم الإيداع: ١٤٣٥/٢٦٥٦

ردمك: ٦ - ٢٤٩ - ٥٠٧ - ٦٠٣ - ٩٧٨

حكمت هذا الكتاب لجنة متخصصة، وقد وافق المجلس العلمي على نشره في اجتماعه السادس للعام الدراسي ١٤٣٤/١٤٣٥هـ، المعقود بتاريخ ١٤٣٥/١/١٥هـ، الموافق ٢٠١٣/١١/١٨م.

دار جامعة الملك سعود للنشر ١٤٣٥هـ

مقدمة المترجم

منذ بدايات شغفي بالتاريخ ومصادره، في أواخر مرحلتي الابتدائية، وروما وعظمتها تمثلانِ لي عاملَ جذبٍ كبيرٍ في هذا السِّياق التاريخيِّ الكبير. لم تكن لديَّ تلك النظرة الانتقائية للتاريخ التي تنطلق من مُسلَّماتٍ وأيدلوجياتٍ معينة. تلك النظرة التي تتجاهل البُعد العالمي في حركة التاريخ. بل التاريخ – هكذا كنتُ أومن وما زلتُ – هو سلسلةٌ متواصلةٌ من الأحداث الإنسانية على امتداد خط الزمن الذي يبدأ منذ خلق آدم – عليه السلام – وينتهي بنهاية هذا العالم. هذه السلسلة التاريخية اشترك في تكوينها جميع شعوب الأرض، وفي جميع الأزمان، بغضِّ النظر عن اللون والدين والجنس. نعم توجد لدينا، بوصفنا مؤرخين أكاديميين، نظرةٌ غير منصفة، وهي التي تربط بداية التاريخ ببداية التدوين في مطلع الألفية الثالثة قبل الميلاد، حيث إنَّ التاريخَ أقدم وأعم من التدوين التاريخي بكثير. لكن قد نُعذر بوصفنا مؤرخين أكاديميين، كون بداية التدوين تعني بداية إمكانية كتابة التاريخ، ومن ثم دراسته أو فلنقُل "التعامل مع المادة التاريخية". لكن التاريخ كحركةٍ إنسانيةٍ قديمٌ قِدم الإنسان نفسه.

إن عظمة روما وشهرتها أكبر من أن يتم تجاهلها تحت أي ذريعة كانت، فالقرآن الكريم خلَّد ذكر الرومان حين قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣﴾ (سورة الروم: الآية ١ – ٣). وكذلك الكتب السماوية الأخرى تناولت الرومان وتاريخهم. والمصادر القديمة شرقيها وغربيها

ذكرت روما وشعبها على مرِّ العصور. ولروما وللرومان حيِّزٌ كبيرٌ في عقلنا الجمعي نحن المسلمين، بل لا أبالغ إذا قلتُ إنهما لعبا دوراً كبيراً في تشكيل وعينا الثقافي وهويتنا الإسلامية، حيث واجه أجدادنا من الصحابة– رضوان الله عليهم – روما وعظمتها، ونجحوا، وبإبداعٍ، في تجاوز حدود المنطق التاريخي بانتصارهم العسكري على القوة الرومانية التي كانت "لا تُقهر".

واليوم نجد الإمبراطورية الرومانية يتم تناولها من قبل المؤرخين والساسة الغربيين للكثير من الأسباب التي يستحيل عرضها في هذه المقدمة.• ولكن ما يهمنا هو حضور هذه الإمبراطورية في عالمنا الحديث والمعاصر.

ولقد زاد شغفي بالتاريخ الروماني مع تنامي حصيلتي التاريخية حتى قادني هذا الشغف إلى تعلُّم اللغة اللاتينية، ومكابدة صعوبتها المعروفة. ومن ثم إلى تناول روما وعلاقتها بالشرق الأدنى القديم، وكذلك النظر إلى هذه العلاقة القديمة من قبل المؤرخين الغربيين المحدثين في رسالتي للدكتوراه، التي قدمتها إلى جامعة مانشستر، في ديسمبر من العام ٢٠٠٥م، وكانت بعنوان:

Rome and Nabataea: Post-Colonialism and the Writing of History

وفي صيف عام ٢٠١١م، أرشدني زميلي السابق في مرحلة الماجستير السيد مايكل تيت إلى كتاب جديد عن تجارة روما مع الشرق البعيد بعنوان:

Rome and the Distant East: Trade Routes to the Ancient Lands of Arabia, India and China

صادر عن دار كونتنيوم Continuum للنشر.

• تناول المترجم شرح هذه الأسباب في بحثه الموسوم: سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية، الأسباب غير المباشرة، مجلة الجمعية التاريخية السعودية، ٢٠٠٧م.

روما والشرق البعيد طرق التجارة القديمة إلى أراضي الجزيرة العربية والهند والصين

ولقد اقتنيتُ هذا الكتاب وقمتُ بقراءتِه في سنةٍ واحدةٍ أكثر من خمس مرات. والعجيب أنني في كل مرة أقرأُ فيها هذا الكتاب أكتشفُ فيه أمراً جديداً. من هنا قررت ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة العربية ليكون مرجعاً للمتخصصين في تاريخ روما القديم، أو تاريخ الجزيرة العربية القديم، أو حتى تاريخ الشرق البعيد، حيث تعاني المكتبة العربية نقصاً كبيراً في مثل هذه المؤلفات التي تُعنَى بالتاريخ القديم، ولا سيما تاريخ التجارة القديمة، خصوصاً في تلك الكتب التي تم تأليفها من قبل علماء غربيين قد ينظرون إلى الموضوع من زاويةٍ غير غربية.

يتناول هذا الكتاب أحد أهم الموضوعات في التاريخ القديم، وهو موضوع التجارة العالمية، التجارة بين الغرب ممثلاً بواجهة الغرب آنذاك الحضارية والعسكرية والاقتصادية، وأعني روما، وبين الشرق ممثلاً بمركز ثقله الاقتصادي الجزيرة العربية، وكذلك بقية مناطق الشرق، وهو ما أطلقَ عليه مؤلف الكتاب "الشرق البعيد". كان العامل الاقتصادي من أهم العوامل التي قادت إلى ازدهار روما وتَسيُّدِها العالم القديم، وكان العامل نفسه الذي لعب دوراً كبيراً في انهيار الإمبراطورية الرومانية الغربية، كما عرضت لذلك في دراسة أكاديمية سابقة بعنوان: "سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية: الأسباب غير المباشرة".

ومن مميزات هذا الكتاب عدم تسليمه بالمُسلَّمات الرائجة في الأوساط الأكاديمية الغربية والمتعلقة بروما. ومن هذه المسلمات إقصاء دور التجارة الشرقية من عملية تقييم التجربة الرومانية، أو النظر إلى الاتصالات الرومانية الشرقية على أنها ذات اتجاهٍ واحدٍ من ناحية التأثير. فدائماً ما يُنظر في الدراسات التقليدية إلى روما على أنها المركز، بينما يُطلق على بقية الشعوب الأخرى مسمى الأطراف. وهو ما يُطلق عليه في

الدراسات الغربية "the center-prephaies relations". ومع أن هذه النظرة مقبولة من ناحية العلاقات العسكرية، وما تنطوي عليه من منطق القوة، إلا أنها في الجانب الثقافي والاقتصادي غير منصفة، فلقد أثَّرت الشعوب الشرقية عن طريق منتجاتها الاقتصادية كثيراً في روما، كما أثَّرت هذه الأخيرة في الشعوب الشرقية. ومن هنا فإنَّ هذا الكتاب لم يتجاهل هذا التأثير الشرقي. يقول مؤلف الكتاب: "من خلال دراسة التدخل الروماني في تجارة الشرق، يتناول هذا الكتاب الإمبراطورية الرومانية ويضعها، بدقةٍ أكثر، ضمنَ سياقها القديم الحقيقي. وينتقدُ هذا الكتابُ الصورةَ التقليديةَ التي قدَّم بها الباحثون الغربيون روما وإنجازاتها. وتجدر الإشارة إلى أنه لا تزال هناك العديد من المسلَّمات في الأوساط الأكاديمية تتعلَّق بتقييم الإمبراطورية الرومانية إلى حدٍّ كبيرٍ على أساس نفوذها السياسي والعسكري، مما يحصر الدراسات ضمن حدود أكاديمية ضيقة. إنَّ هذه المسلمات بحاجة إلى التصدي والنقد، ويمكن تحقيق ذلك من خلال دراسة الأدلة القديمة المتعلقة بكيفية قيام التجارة بربط وتمويل العالم القديم."إن مؤلف الكتاب بمثل هذه النظرة الأكاديمية المتحررة من سيطرة مسلَّمات الفوقية الغربية، يوظِّف، وإنْ كان دون وعي، مفاهيم نظرية ما بعد الاستعمار Post-Colonialism. إن نظرية ما بعد الاستعمار فتحت وما زالت تفتح الكثير من الآفاق في دراسة التاريخ العالمي. والحقيقة أنَّ هذه النظرية على الرغم من رواجها في الغرب، لم تُطبق على التاريخ القديم في الشرق، قبل أن أحضِّر فيها رسالتي للدكتوراه في جامعة مانشستر العريقة تحت عنوان: Rome and Nabataea: Post-Colonialism and the Writing of History (روما والأنباط: نظرية ما بعد الاستعمار وكتابة التاريخ). التي قامت دار النشر BAR بطلب نشرها مني فوافقت وقد تم ذلك في العام ٢٠١١م.

والجدير بالذكر في هذا المقام أن المؤلف قد استخدم مصطلحين جغرافيين مختلفين. وهما the Distant East (الشرق البعيد) ويقصد به "المناطق الواقعة وراء حدود الأراضي الرومانية. وتشمل: المملكة البارثية، وجنوب شبه الجزيرة العربية، وشرق أفريقيا، والهند، وآسيا الداخلية، والشرق الأقصى، والصين." ومصطلح the Far East (الشرق الأقصى) ويقصد به أراضي الشرق الأقصى المتعارف عليها. ومن هذا المنطلق فقد ترجمنا عنوان الكتاب إلى (روما والشرق البعيد: طرق التجارة القديمة إلى أراضي الجزيرة العربية والهند والصين).

وأخيراً وليس آخراً، لا يفوتني أن أشكر القائمين على مركز الترجمة في جامعة الملك سعود، على إتاحة الفرصة لي بترجمة هذا الكتاب، وإضافته للمكتبة العربية، التي تعاني نقصاً كبيراً في مثل موضوعه.

المترجم

الإهداء

إلى والديَّ وليم جون مكلاوغلن ، واليزابيث تيري مكلاوغلن

شكر وتقدير

لقد بُنيَّ هذا الكتاب على أطروحتي للدكتوراه، التي تم إنجازها في جامعة كوينز في مدينة بلفاست في العام ٢٠٠٦م. عندما كنتُ أبحث عن مكانٍ لدراسة التجارة الشرقية، تقدمتُ بطلبٍ إلى العديد من الجامعات، ولكني لم أجد أيًّاً منها يمكن أن يستوعب موضوعاً واسعاً وطموحاً كهذا. وكان المكان الوحيد الذي بإمكانه استيعاب هذا العمل هو مدينة بلفاست. وفي حقيقة الأمر فأنا أقدِّرُ كثيراً كيف سمح لي متابعة اهتماماتي الأكاديمية في إطار من التوجيه والتشجيع البناء. وأودُ أن أشكر المشرف على رسالة الدكتوراه الدكتور چون كوران، لأنه لولا توجيهاته وإرشاداته ودعمه لما أتيحت لي هذه الفرصة لدراسة هذا الموضوع. وأود أيضاً أن أشكر الأستاذ الدكتور برايان كامبل وكولين آدامز لموافقتهما على أن يكونا الممتحنين لي في درجة الدكتوراه حيث استفدت كثيراً من نصائحهما.

لقد تلقيتُ تعليمي في كلية ليجان في بلفاست، وهي أول كلية متكاملة وشاملة لمختلف شرائح المجتمع تُنشأ في أيرلندا الشمالية. وقد تأسست هذه الكلية بهدف منح الشباب الفرصة لفهم واحترام جميع الخلفيات الثقافية والدينية دون التقسيمات القائمة على العرق، أو الطبقة الاجتماعية. ولقد أدركتُ خلال دراستي مدى مهارة هيئة التدريس في الكلية، بقيادة الدكتور براين لامبكن عميد الكلية، الذي عَزَّزَ هذه الروح بيننا، فلم يقمْ في أيِّ وقتٍ من الأوقات بتثبيط التفكير المستقل، أو تقويض الآراء

الاجتماعية، أو السياسية لكل فردٍ منا. لقد بقيت على اتصال مع زملائي طوال فترة دراستي في الجامعة. وأشكر خصيصاً جيني كيركوود لمساعدتي في ترجمات اللغة الحديثة، وماوولي أمواكو لإتاحته الفرصة لي لزيارة الصين.

لقد تم تمويل المراحل الأولى من رسالتي للدكتوراه من قبل وزارة التربية والتعليم بأيرلندا الشمالية. ولكنني موَّلت الأجزاء اللاحقة من الدراسة من مواردي الخاصة. لقد استضافت جامعة كوينز في بلفاست كُلًّا من دراستي الجامعية والدراسات العليا. وإنني أقدِّر كثيراً جامعتي وأحترم مهارات ومواقف العاملين بها، الذين لم يقوموا أبداً بتثبيط عزيمتي، أو الاستخفاف بأفكاري. ففي بلفاست كان المتخصصون في التاريخ القديم يقومون بالتدريس في القسم نفسه مع علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية والمؤرخين المتخصصين في التاريخ الحديث. وفي هذه البيئة، كان التاريخ له سياق عالمي، وكانت دراسة الثقافات البعيدة زمنياً تنطوي على قيمة متميزة. لقد منحني الدكتور جون كوران، والأستاذ الدكتور ديفيد وايتهيد، الفرصة للعمل معيداً لتدريس منهج تعليمي في التاريخ الروماني الجمهوري والإغريقي القديم في الجامعة. وكانت هذه التجربة لا تُقدر بثمن. حيث تمكنت بفضل موقعي في كوينز من الوصول إلى موارد المكتبة والمواد البحثية، التي لم أكن لأتمكن من الحصول عليها لولا وجودي في هذا الموقع. وقد تمكنت تبعاً لذلك من متابعة دراستي لفترة كافية لإتمام هذا الكتاب.

كما أود أن أشكر زميليَّ المتخصصينِ في التاريخ القديم وهما كريس ماكوبري، وجوناثان إيتون، لما قدماه لي من مساعدة عملية كونهما متخصصينِ في العسكرية الرومانية، فقد كانت محادثاتنا دائماً حيةً ومثيرةً للاهتمام، وعلى وجه الخصوص جوناثان إيتون، الذي قام بقراءة المخطوطات الأولى التي كتبتها بخط يدي ووجه لي نقدا قيِّماً وبنّاءً حول مضمونها. ولا يفوتني شكر شون ماكيد، الذي كان يدرس

التاريخ الحديث، لكنه لم يتوانَ عن مؤازرتي، وكلير راش، التي كانت لديها خلفية واسعة في التاريخ الأيرلندي وقد وفرت لي العديد من الكتب النادرة، وأنا مدين لها بالعرفان. وأقدِّرُ كثيراً رؤى چيما وايبرج كونها طالبة في قسم الأنثربولوجيا الاجتماعية وتفهم بشكلٍ فريدٍ تعقيدات المجتمعات البشرية.

وأخيرا، فإنني أهدي هذا الكتاب إلى والدايّ ويليام، واليزابيث مكلاوغلن، اللذينِ اضطرا إلى قبول تحويل رسالتي للدكتوراه إلى كتابٍ، وهو ما يعني الدخول في ضائقةٍ مالية. ومن هنا فقد عمل والدي بعد سن التقاعد لمساعدتي. كما يجب أن أشكر أخي ليون على وقتِه الذي استغرقه، والعناء الذي تكبده؛ لتصميم الخرائط، وتدقيق المراجع القديمة. كما أوجه شكري لأسرتي كُلِّها، وخاصة شقيقتي تاينا، التي قدَّمتْ لي دعماً وتشجيعاً لا حدَّ لهما.

لكلِّ ما سبقَ، أشكرُ عطفَكم وتقديَركم، فلولاكم ما كان هذا الكتاب ممكناً.

راؤول مكلاوغلن

بلفاست

يونيو ٢٠٠٩م

المحتويات

مقدمة المترجم.....هـ

الإهداء ..... ك

شكر وتقدير .....م

المحتويات.....ف

الرسومات التوضيحية ..... ق

الاختصارات ..... ظ

مقدمة: روما والشرق البعيد ١

الفصل الأول: الأدلة القديمة على الاتصالات الشرقية ١٣

الفصل الثاني: مصر الرومانية والطرق البحرية إلى الهند ٤٥

الفصل الثالث: روما وطرق التجارة العربية.....١٢١

الفصل الرابع: طرق التجارة عبر آسيا والاتصال بطريق الحرير.....١٦٣

الفصل الخامس: الاتصالات الدبلوماسية مع الشرق البعيد.....٢١٥

الفصل السادس: الأثر الاقتصادي على الإمبراطورية الرومانية ٢٦٩

الملاحق ٣٤١

الملحق أ: منتجات الإمبراطورية الرومانية ٣٤١

الملحق ب: الواردات الشرقية في الإمبراطورية الرومانية.....٣٤٣

الملحق ج: أسعار السلع الشرقية ٣٤٥
الهوامش ٣٤٧
حول المصادر القديمة ٤٣٣
مراجع مختارة ٤٣٥
ثبت المصطلحات ٤٥٩
كشاف الموضوعات ٤٨١